

أضواء البيان

@ 45 إلى التخلي عن دين الإسلام ، ورفض الرابطة السماوية رفضاً باتاً ، على أن يعتاض من ذلك روابط عصبية قومية ، مدارها على أن هذا من العرب ، وهذا منهم أيضاً مثلاً .
فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفاً من الإسلام . واستبدالها به صفقة خاسرة . فهي كما قال الراجز : ورفض الرابطة السماوية رفضاً باتاً ، على أن يعتاض من ذلك روابط عصبية قومية ، مدارها على أن هذا من العرب ، وهذا منهم أيضاً مثلاً . فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفاً من الإسلام . واستبدالها به صفقة خاسرة . فهي كما قال الراجز : % (بدلت بالجمة رأساً أزعرًا % وبالثنائيا الواضحات الدردرا) % .

وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده كما لا يخفى . .
وقد بين ابن جرير وعلا في محكم كتابه : أن الحكمة في جعله بني آدم شعوباً وقبائل هي التعارف فيما بينهم . وليست هي أن يتعصب كل شعب على غيره ، وكل قبيلة على غيرها . قال جرير وعلا : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا } إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ { فاللام في قوله { لِتَعَارَفُوا } لام التعليل ، والأصل لتتعارفوا ، وقد حذف إحدى التاءين . فالتعارف هو العلة المشتملة على الحكمة لقوله : { وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ } ونحن حين نصرح بمنع النداء بالروابط العصبية والأواصر النسبية ، ونقيم الأدلة على منع ذلك لا ننكر أن المسلم ربما انتفع بروابط نسبية لا تمت إلى الإسلام بصلة . كما نفع ابن نبيه صلى الله عليه وسلم بعمة أبي طالب . وقد بين ابن جرير وعلا أن عطف ذلك العم الكافر على نبيه صلى الله عليه وسلم من منن الله عليه . قال تعالى : { أَلَمْ يَجْعِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } أي آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب . .
ومن آثار هذه العصبية النسبية قول أبي طالب فيه صلى الله عليه وسلم : : % (وإني لن يصلوا إليك بجمعهم % حتى أوسد في التراب دفينا) % .

كما قدمنا في سورة هود . .

وقد نفع ابن نبيه صلى الله عليه وسلم بتلك العصبية النسبية شعيباً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كما قال تعالى عن قومه : { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقْتَ هُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَدْرَاكَ فَيِنَا مَعْرِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ } . .
وقد نفع ابن نبيه صالحاً أيضاً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . كما أشار تعالى لذلك بقوله : { قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ

لَنَذِقُنَّ لَوْلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ {
فقد دلت الآية على أنهم يخافون من أولياء صالح ،